

وماذا بعد رمضان

لقد ودَّعَ المؤمنون موسماً عظيماً فاضلاً أقبلت فيه القلوب على الله عبادةً وطاعة ، وتنافس فيه العباد بأنواع القربات وصنوف العبادات ؛ فذاك حريصٌ على ختم القرآن ، وآخر متفقدٌ حاجة المساكين والأرامل والأيتام، وثالثٌ مقبلٌ على العبادة والصلاة والقيام ، ورابعٌ يجمع لنفسه من صنوف الخيرات وأبواب العبادات ما ييسره له الملك العلام ، ولكلٌ في الخير وجهة هو موليها متسابقين في الخيرات فما أعظم غنيمتهم ! وما أكبر رجهم! وما أحسن الخير الذي غنموه !! فهنيئاً لهم ثم هنيئاً .

وإذا كان المسلمون قد ودَّعوا شهر رمضان موسم الغفران والعنق من النيران وموسم التنافس في طاعة الرحمن فإنهم لم يودَّعوا بتوديعه أبواب الخيرات ، فلا تزال مواسم الخيرات متجددة وأبواب الخيرات متتالية ، وينبغي على عبد الله المؤمن أن يغنم حياته وأن يستغل وجوده في هذه الحياة لاغتنام كل مناسبة كريمة ووقت فاضل متسابقاً مع المتسابقين في الطاعات مسارعاً لنيل رضا رب البريات سبحانه وتعالى .

وإن من علامات قبول الطاعة الطاعة بعدها ، والحسنة تنادي أختها ، وقد قال أهل العلم رحمهم الله تعالى : إن من علامة قبول طاعة الصيام والقيام في شهر رمضان أن تكون حال العبد بعد رمضان حال سكينَةٍ ووقارٍ وشكرٍ لله تبارك وتعالى وإحسانٍ في الإقبال على الله عز وجل ، فإذا كان العبد كذلك فإن ذلك من أمارات القبول وعلامات الخيرية . أما إذا كانت حال العبد بعد رمضان تحوُّلاً من الطاعة إلى الإضاعة وإقبالاً على المعاصي والآثام فليس ذلكم من أمارات الخير ، ولقد قال أحد السلف قديماً عندما حُدِّث بحال بعض الناس يجتهدون في شهر رمضان وإذا انقضى فرطوا قال : " بنس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان " .

إن رب الشهور واحد ، فرب رمضان هو رب شوال ورب الشهور كلها ، وكما قال بعض السلف: " كن ربانياً ولا تكن رمضانياً " أي لا تكن طاعتك لله وعبادتك له سبحانه وتعالى محدودة بهذا الشهر ، بل حياتك كلها موسم لطاعة الله جل وعلا ، قد قال الله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩] أي حتى يأتيك الموت ، وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] ، وقال جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: ١٣] ، وقال جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [ص: ٣٠] .

وهاهنا مثلٌ عظيم يجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه ؛ رأيتم لو أن امرأة كانت تُحسن الغزل وتتقنه فأخذت شهراً كاملاً تُرم غزلها وتحكمه وتتقنه فلما أكملت شهراً نصباً وتعباً وجدّاً عادت إلى غزلها تنقضه بعد إحكامه كيف يقول القائلون عنها !؟ وماذا يتحدث

الناس عن حالها؟! فإنها حالٌ بيّسةٌ مفارقةٌ للعقل والحكمة ، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى منبهاً لهذا الأمر عباده : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
تَقَصَّتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَأَ} [الحل: ٩٢] . نعم إذا وُفّق العبد لطاعة الله جل وعلا وأقبلت نفسه على الطاعة وتمرّنت على العبادة
وراضت للطاعة ولانت بعد انفلاتها لا يليق بحال عبد وفّق الله لذلك أن ينقض هذا المحكّم المبرّم وأن يتحول إلى حالة يعلم من نفسه
أنها لا ترضي ربه تبارك وتعالى .

إن الوقت الذي يعقب رمضان هو وقت شكرٍ لله تبارك وتعالى: {وَلْيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥] ، ومن المعلوم أن العصيان بعد الطاعة ليس من الشكر للموفّق للطاعة جل وعلا ، بل حقيقة الشكر : أن يعمل العبد
طاعةً لله محققاً بطاعته لله شكر الله ، وقد قال سبحانه وتعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا} [داود: ١٣] .

فلنحاسب أنفسنا ونزن أعمالنا ونتفكر في حالنا ؛ إن انقضاء شهر رمضان مؤدّنٌ بانقضاء عمر كل واحد منا ، لأن الأزمان
شهوراً وأسابيع وسنوات هي من جملة عمر الإنسان ، فأنت أيها الإنسان زمنٌ محدود ووقتٌ معدود ينتهي عمرك بانتهاء زمانك ؛
ولهذا فإن مرور الشهور والأعوام يعد تذكراً وتبصرةً للمؤمن ، فإن اليوم أو الشهر أو السنة التي تنقضي هي جزء من عمرك ؛ ينقص
عمرك بنقص الشهور والسنوات أو انقضاء الشهور والسنوات ، وكل يوم أو شهر أو سنة تنقضي تُدنيك من أجلك وتقربك من
ميتك . إذا كنا في وقتٍ قريب نترقب دخول رمضان ونتحنّن بحمّيه وها نحن قد ودّعناه !! فأعمارنا شأها شأن رمضان وشأن
السنوات ؛ فليعتبر عبدُ الله المؤمن وليتفكر في حاله وليحاسب نفسه وليزن أعماله ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن
توزنوا ، فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل .

وإذا كان شهر الصيام الذي أوجب الله على عباده صيامه فرضاً متعيّناً قد انقضى فإن مواسم الصيام لم تنقض ، إذا كان الصيام
فرضاً قد انتهى وقته فإن الصيام نفلًا لا تزال تتجدد أوقاته بتجدد الشهور والأسابيع والأعوام ؛ فهناك صيام ثلاثة أيام من كل شهر ،
وصيام الاثنين والخميس ، وصيام العاشر من محرم ، وصيام يوم عرفة ، إلى غير ذلك من صيام النفل المتجدد بتجدد الشهور والأسابيع
والأعوام .

وها نحن نعيش شهر شوال في موسم عظيم من مواسم الصيام الراجحة فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب
الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)) . وفي الإقبال
على صيام الست من شوال أمانة من أمارات القبول لصيام رمضان لأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، كما أن صيام ست من شوال
يُعدُّ من أبواب الشكر لله تبارك وتعالى على التوفيق للصيام في رمضان . كذلك صيام الست من شوال شأنه مع رمضان كشأن النافلة
مع الصلاة المفروضة ؛ فكما أن النوافل مع الصلوات تجبر نقصها وتسُدُّ ما يكون فيها من خلل فإن في صيام ست من شوال جبرٌ لما
يكون في صيام العبد من نقص أو خلل ، إضافة إلى قول نبينا عليه الصلاة والسلام عن صيام الست من شوال أن من صامها متبعاً لها

بصيام رمضان فكأنما صام الدهر كله ؛ لأنَّ رمضان بعشرة شهور وستاً من شوال بشهرين وهذا صيام السنة ، فإذا كان العبد مواظباً على ست من شوال بعد صيامه لرمضان فكأنما صام الدهر كله .

اللهم لك الحمد على ما هيأتَ لنا من أبواب الخيرات وصنوف البر والعبادات ، اللهم لك الحمد حمداً كثيراً على نعمك المتوالية وآلائك المتتالية وعطائك الذي لا يعد ولا يحصى .